(النفوس المطمئنة)

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَهَ إِلاَّاللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ القائل :

(وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليومْ عَلَيْكَ حَسِيبًا)

وَنَشْهَدُ أَنَّ سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ القائل : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ إِجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا...وبعد فيقول تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً)

• عباد الله المؤمنين : سائل يقول : هل توجد علامة على قبول العمل ؟ لقد قالَ العُلَماءُ إنَّ مِن علامَةِ قَبُولِ الحَسَنَةِ فِعلَ الحَسَنَةِ بَعدَهَا مثلا لقد كنت منذ أيام فى رمضان فإذا واصلت عملك الذى كنت عليه فى رمضان فهذا علامة القبول ، فاللهُ إذا رَضِيَ عَنِ العَبدِ وَفَّقَهُ إلى عَمَلِ الطَّاعَةِ بَعدَ الطَّاعَةِ وَأعانه عَلَي فِعلِهَا وَعَصَمَهُ مِنَ المَعصِيَةِ وَأعانه عَلَي تَركِهَا وفضيلة أخرى لِلمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ : أن أجر المداومة على الطاعات لاينقطع فى حال العجز أو الموت ، فإذا عجز الإنسان عن فعل الطاعة لمرض أو سفر أخذ الأجر كاملا قال تعالى : (...وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى...) وقال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا مَرِضَ العَبدُ أو سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثلُ مَا كَانَ يَعمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا) وإذا مات فاعل العمل الصالح لم يمت عمله بل يظل جاريا يصل إليه فى البرزخ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) نحن فى الدنيا نعمل ويدخر لنا الجزاء ، أما فى الآخرة فننعم بما ادخر لنا وليس هذا فقط بل يأتينا جزاء ما تركناه فى الدنيا من صدقة جارية....إِنَّهَا جَائِزَةٌ عظمى لا يُحَصِّلُهَا إِلاَّ مَن كَانَ لَهُ عَمَلٌ يُدَاوِمُ عَلَيهِ .

• فالعِبرَةُ فِي العَمَلِ بِحُسنِهِ لابِكَثرَتِهِ كما قال ربنا : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَنُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) وقالَ تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الموتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أحسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ) فَدَاوِمُوا معشر المسلمين عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ وَاسأَلُوهُ الإِعَانَةَ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَكثِرُوا مِن ذِكرِ الدَّاعِي العَظِيمِ الَّذِي أوصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا حَيثُ قالَ لَهُ : (يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، أوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أَن تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكرِكَ وَشُكرِكَ وَحُسنِ عِبَادَتِكَ) فإذا استمر الإنسان على ذلك إستقرت نفسه واطمأنت...

• فالنفس المطمئنة هي التى تسير إلى الله عز وجل ولا تتعثر أبدًا فهى راضية عن الله...والله راض عنها فإذا حان لقاؤها بربها خاطبها فقال : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) نفس عرفت ربها حق المعرفة فاطمأنت لقضائه وقدره بخلاف النفس المضطربة التي يقلقها التافه من الدنيا والتى تتقلب مع الريح لذا وصفها ربنا بقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ.....) .

• والنفس المطمئنة هي التى تعلم بأن الله هو المعطي وهو المانع ، هو المعز وهو المذل ، هو الرافع وهو الخافض ، أكثر من في الأرض أئمة ضلال قال تعالى : (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّيَخْرُصُونَ) أتدرون لماذا ؟ لأنهم خالفوا شرع الله ومنهج الله ، فما فيه العالم اليوم من مشكلات اقتصادية واجتماعية ونفسية إنما هو بسبب فصل الدين عن الحياة ومثال ذلك : فإن أعلى دخل للفرد فى العالم الغربي هي السويد ومع ذلك فإن أعلى نسبة انتحار موجودة في السويد وهذا أكبر دليل على أن المادة وحدها لاتسعد الإنسان أبدا إلا إذا استعملت فيما أراد الله ، ولايمكن للرخاء أن يعود للعالم إلا بعودة الدين إلى الحياة قولا وفعلا قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) وقال تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى...)

فكم من أقوامٍ طغوا واستكبروا فما جاء عليهم صبح إنما أخذوا أخذ عزيز مقتدر إلى جهنم وبئس المصير

• عباد الله : حِينَمَا يَكثُرُ الشَّرُّ والفَسَادُ وَتَقوَى شَوكَةُ الطُّغَاةِ ، وَيَقِفُ الخَيرُ عَاجِزًا عن دَفعِ الشَّرِّ فَإِنَّ اللهَ يُهَيِّئُ مِنَ الأَسبَابِ مَا يُهلِكُ بِهِ الطُّغَاةَ...انظروا إلى نِهَايَةِ فِرعَونَ وَقَومِهِ عِندَمَا عَجِزَمُوسَى وَقومُهُ عَن مُوَاجَهَتِهِم ولم يملكوا إلا الهرب هيأ الله لهم النجاة قال تعالى : (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَاغَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَاهَدَى) وَمَا عَذَابُ الطُّغَاةِ بِدُنيَوِيٍّ فَحَسبُ...فالعذاب فى البَرزَخِ وفى يوم القيامة قالَ تعالى : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) ويقول : (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)

أيْ اِنْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ اِنْتِقَامًا جَعَلَهُ بِهِ عِبْرَة لِأَمْثَالِهِ مِنْ الطغاة فِي الدُّنْيَا كما قال تعالى : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) فهو موجود ببدنه فى متحف القاهرة للعبرة وسيظل هكذا إلى يوم القيامة كما وعد ربنا سبحانه وتعالى

• ومن أمثلة العبرة أيضا : المكر السيئ لايحيق إلا بأهله...أنظروا إلى حال أخوة يُوسف لما وقفوا بين يديه وقالوا : (يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) لقد ذل أبناء يعقوب أمام الملك وما حسبوه أنه أخوهم ؟ لما أخطئوا فى حقه ذلهم الله أمامه عندما قالوا لأخيهم : (فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) فهل استكبر عليهم مع أنهم حرموه من حياة كريمة مع والده الحنون ؟ لا...بل رق لإخوته ولكنه ذكرهم بعاقبة مكرهم فقال : (قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ...)

• فليست هناك لذة ولا راحة إلا فى جوار الرحمن فى الدنيا والآخرة ففى الدنيا : ترى الراحة فى المساجد وهي بيوته ، وفى كلامه وهو القرآن الكريم ، وفى شريعة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأما فى الآخرة فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ...يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ!!فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَانَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَالَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أَعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ) قال تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) .

• ماذا يريد الخلق أكثر من هذا ؟ ربٌ كريمٌ جوَّاد يُطعم الكافر قبل المسلم ، ويجود على العاصى بتوبة قبل المطيع فكيف بمن أطاعه وعلم أن الخير كله بيده ؟ ولنا فى صحابة الرسول صلي الله عليه وسلم الأسوة...فلقد عاشوا في شدة وعاشوا فى رخاء ومع ذلك لم يُفتنوا بالدنيا بل كانوا أعبد الناس...لأن النفوس كانت مطمئنة ، أما النفوس المضطربة تراها في بؤس وشقاء ، لقد فتحت الدنيا علي أصحاب رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما فتنوا بها كما فتنا بل عاشوا فيها على الكفاف فعزوا وسادوا ، لقد كانوا يخافون من فتح الدنيا عليهم وهم فى أشد الحاجة إلى الطعام والشراب ولم لا ؟ لما قدم أبو عبيدة بمال من البحرين سمعت الأنصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما انصرف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعرضوا له فتبسم حين رآهم ثم قال : (أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء) قالوا أجل يا رسول الله قال : (فأبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)

• نعم ياعباد الله : فقد يضيق على العبد فيهلك ، وقد يوسع على العبد أيضا فيهلك ولكن إن اطمئن القلب لتقدير الله تعالى سكن فحياتك أخى المسلم فرصة يجب أن تغتنمها ولا تنظر إلى من حولك...فهؤلاء يعيشون فى زمنهم ولا زمن لهم غيره ، يعيشون فى الدنيا وهي لهم كما قال تعالى : (وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ * وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) لو كان يقين المؤمن في الآخرة أعظم من يقينه في الدنيا...لجعل الله بيوت الكفار من ذهب وفضة ليتنعموا فى الدنيا حتي لايكون لهم نعيم في الآخرة ولكن الله يخشي الفتنة علي أحبابه المؤمنين فأعطي الكفار من الدنيا لأنها لاقيمة لها كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيث الصَّحِيح : (لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَزِن عِنْد اللَّهِ جَنَاح بَعُوضَة مَا سَقَى مِنْهَا كَافِرًا شَرْبَة مَاء) .

• ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (وَالآخِرَةُ عِنْد رَبّك لِلْمُتَّقِينَ) أيْ هِيَ لَهُمْ خَاصَّة لاَ يُشَارِكهُمْ فِيهَا أَحَد غَيْرهمْ ، وَلِهَذَا لَمَّا رَأَى عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَائِمًا عَلَى حَصِير قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ بِالْبُكَاءِ قَالَ يَا رَسُول اللَّهُ هَذَا كِسْرَى وَقَيْصَر فِيمَا هُمَا فِيهِ وَأَنْتَ صَفْوَة اللَّهُ مِنْ خَلْقه وكَانَ رَسُول اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ وَقَالَ : (أَوَ فِي شَكّ أَنْتَ يَا اِبْنَ الْخَطَّاب ؟ أُولَئِكَ قَوْم عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتهمْ فِي حَيَاتهمْ الدُّنْيَا...وَنَحْنُ قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي الْآخِرَة) فالمال ليس دليلا على حب الله لعبده يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لايُحِبُّ وَلايُعْطِي الدِّينَ إِلاَمَنْ أَحَبَّ فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ...) ثم قال تعالى : (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) أيْ يَتَعَامَى وَيَتَغَافَل وَيُعْرِض عَنْ ذِكْر الرَّحْمَن نُقَيِّض لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قرين يهديه إلى الشر لأنه اتخذ الشيطان وليا من دون الله فأضله السبيل .

• قرأت لأحد العلماء قصة حكيت له من إنسان يعرفه يتحدث عن رجل كان يمتلك سبعين مليون دينار فسمعه وهو يقول عن الفقر : قد دفناه منذ زمن ، فيقسم هذا بالله أنه جاءت عليه أيام كان يقتسم مع زوجته رغيف الخبز ، لقد ذهبت السبعون مليون دينار أي دنيا هذه ؟ فكم من أقوام لما كانوا في ضيق من العيش كانوا من أقرب الناس في الظاهر لله عز وجل ، فلما فتحت عليهم الدنيا نسوا الله وانشغلوا بالمال فأنساهم الله أنفسهم ، لقد فروا مع الدنيا إلى الدنيا وليس لهم فى الآخرة من نصيب...

• فعلينا أيها المسلمون التسابق والتنافس إلى الآخرة بأعمال الآخرة لأنها الباقية كما أوصانا بذلك رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ...

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .